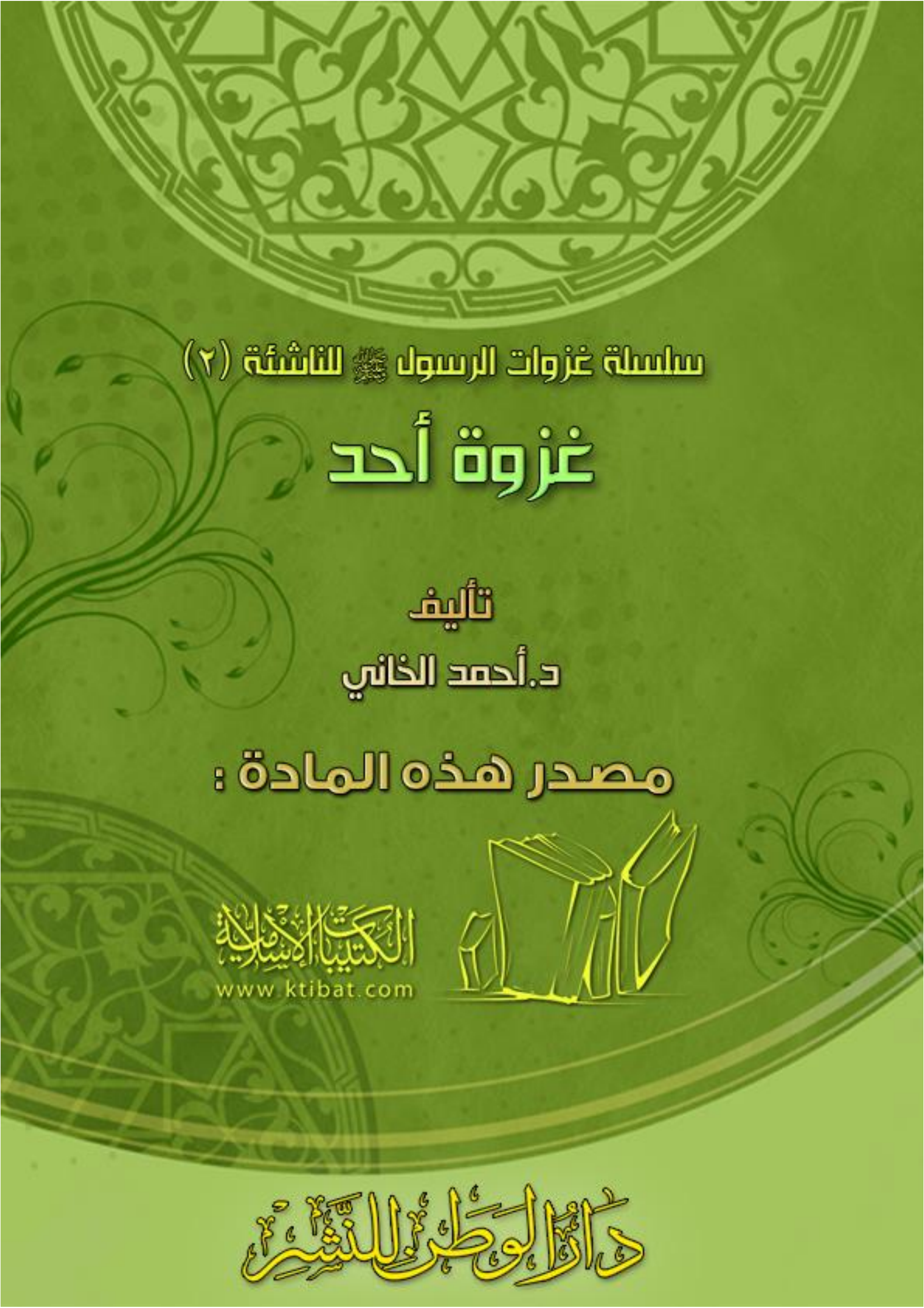


سلسلة غزوات الرسول ﷺ للناشئة (٢)
غزوة أحد
تأليف
د.أحمد الخاني
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

معركة أحدٍ، معركة الدَّرس البليغ الذي تعلمه المسلمون من هذه المعركة العظيمة.

نعم لقد رجع المنافق ابن سلولٍ إلى المدينة المنورة ومعه رفاقه المنافقون، وكانوا يشكِّلون ثلث الجيش، ولكنَّ ذلك لم يؤثِّر بسير المعركة، فلقد انتصر المسلمون في بداية هذه المعركة، ولكن لما خالف الرُّماة أمر النَّبيِّ ﷺ بنزولهم من على جبل أحدٍ حلَّت الكارثة بالمسلمين.

فيا أبناء الإسلام يجب أن نطيع الله ورسوله وأولي الأمر منَّا؛ حتَّى ينصرنا الله، وحتَّى يجنِّبنا الهزائم في المعارك الحربيَّة القادمة مع أعداء الله تعالى.

***

زحف المشركين إلى المدينة المنوَّرة

كان المشركون في مكة غاضبين لانهزامهم في معركة بدرٍ، فأرادوا أن يثأروا لقتلاهم؛ لذلك جمعوا مالًا كثيرًا، واشتروا به خيلًا وسيوفًا ورماحًا ودروعًا وكلَّ ما يحتاجونه للحرب، وشكَّلوا جيشًا بلغ عدده حوالي ثلاثة آلاف مقاتلٍ، وساروا إلى المدينة المنوَّرة.

وشاركت مع هذا الجيش بعض النِّساء المشركات، وكان أبو سفيان القائد العامِّ لجيش المشركين.

***

زحف النبيّ ﷺ إلى جبل أحدٍ

ولما سمع النبيُّ ﷺ بجيش المشركين استشار أصحابه، ثمَّ لبس درعه وأخذ سيفه وخرج يقود جيشًا يعدُّ حوالي ألف رجلٍ، ولم يبتعد هذا الجيش عن المدينة المنوَّرة إلا قليلًا حتَّى رجعه المنافق عبد الله بن أُبِيّ بن سلولٍ، ورجع معه رفاقه المنافقون.

وتابع النبيُّ ﷺ طريقه حتَّى وصل إلى جبل أحدٍ، فجعل جيشه ثلاثة أقسامٍ:

(1) **الميمنة**: وجعل الزُّبير بن العوَّام أميرًا عليها.

(2) **الميسرة**: وجعل المقداد بن الأسود أميرًا عليها.

(3) **القلب**: وفيه النبيُّ ﷺ وهو القائد الأعلى.

وصفَّ المشركون جيشهم مقابل جيش المسلمين، فكان خالد بن الوليد مقابل الزُّبير، وصفوان بن أميَّة مقابل المقداد، وأبو سفيان مقابل النبيّ ﷺ.

وأمر النبيُّ ﷺ خمسين راميًا أن يكونوا على جبل أحدٍ ليردُّوا خيل المشركين بالسِّهام، وأوصاهم ألاَّ ينزلوا من على الجبل سواءٌ انتصر المسلمون أم لم ينتصروا، وأكَّد لهم هذه الوصيَّة أكثر من مرَّةٍ.

***

مصارع قريشٍ

كانت راية المشركين مع طلحة كبش الكتيبة، وهو أقوى محاربٍ في قريشٍ بعد عمرو بن ودٍّ العامريِّ الذي جرح في غزوة بدرٍ، وكانت جراحه طريّةً حينما وقعت غزوة أحدٍ، لذلك لم يشترك في القتال.

بدأت قريشٌ حربها بالمبارزة، فتقدَّم طلحة وهو يصيح بالجيش الإسلاميِّ: هل من مبارزٍ؟ وكان على يمين الرَّسول ﷺ بطل معركة بدرٍ أسد الله ورسوله عمُّه حمزة، وعلى يساره البطل عليٌّ، وكان طلحة بسيفه اللامع يصول ويجول، فتقدَّم البطل عليٌّ ومعه سيفه ذو الفقار، وثار الغبار وهما يتبارزان كأنَّهما أسدان عظيمان، إلاَّ أنَّ بطل الإسلام كان الأقوى حيث ضرب خصمه المشرك بالسَّيف؛ فصاح صيحةً عظيمةً ومات.

فكبَّر المسلمون تكبيرة النَّصر، وفزعت قريشٌ وصارت سلافة تولول على زوجها طلحة وتبكي وتنوح، وصارت تنتف شعرها..

تقدَّم عثمان وحمل راية المشركين، وأراد أن يثأر لشقيقه طلحه، وكان مثله في القوَّة، فتقدَّم البطل حمزة إليه وضربه بالسَّيف ضربةً فصلت رأسه عن جسده؛ فتدحرج بعيدًا كأنَّه الكرة.

فكبّر المسلمون وحمل لواء المشركين شقيقٌ آخر لطلحة، فرماه سعد بن أبي وقّاصٍ بسهمٍ فقتله.

***

هجوم المسلمين على المشركين

أمر النبيُّ ﷺ الزُّبير أن يهجم على خيل المشركين، وكان خالد بن الوليد قائد الخيل، وكان عددها مائتي فرسٍ.. وكان مع المسلمين فرسٌ واحدٌ. هجم الزُّبير هجمةً تراجع لها المشركون ورمى عاصمٌ مسافع بن طلحة بسهمٍ فقتله وهو يحمل الراية، فتناولها أخوه الحرث بن طلحة.

ثمَّ أمر النبيُّ ﷺ المقداد أن يهجم بكتيبته على صفوان فهجم، ورمى عاصمٌ الحرث وهو يحمل الراية فقتله.

حمل الراية كلاب بن طلحة فقتل، وهزم صفوان، وهزمت معه كتيبته.

ثمَّ هجم النبيُّ ﷺ على أبي سفيان، وقتل المسلمون في هذا الهجوم الجلاس بن طلحة وهو يحمل الراية، فخاف أبو سفيان وفرَّ من المعركة وتبعه من كان معه من المشركين.

***

الالتحام العامُّ

ثمَّ عاد كلٌّ من الجيشين إلى أماكنه، قبل أن تشرق الشَّمس، ونظَّم صفوفه من جديدٍ، وكان المشركون يدوسون على جثث قتلاهم وهم لا يشعرون، وعاد المسلمون كالأسود، واستعدوا إلى هجومٍ جديدٍ.

كان على جبل أحدٍ خمسون راميًا، وأميرهم هو عبد الله بن جبيرٍ، فلمَّا اقترتب منهم الخيل رموهم بالسِّهام؛ فانصبَّت عليهم كالمطر، فقتل منهم من قتل، وفرَّ الباقون، وقتل المسلمون كثيرًا من المشركين الذين كانوا يحملون الراية، ويدافعون عنها.

ولما اشتدت الحرب هجمت الخيل على جبل أحدٍ مرةً ثانيةً فصدَّتها السِّهام، وتدحرج بعض الخيل من أعلى الجبل، فقتل الفرس والفارس.

وصار أبو سفيان يحمِّس جيشه، فهجمت الخيل مرةً ثالثةً على جبل أحدٍ؛ فنزلت مهزومةً بعد أن قتل منهم بعض فرسانهم وهو يصيح: أنقذوني. ولكنَّ الجميع كانوا يسابقون الريح مهزومين بعد أن تركوا وراءهم سبعين قتيلًا من أبطالهم.

وكان بين المسلمين رجلٌ شجاعٌ بطلٌ اسمه قزمان، وكان راميًا بقوسه لا تكاد تخطئ سهامه الهدف، فقتل من المشركين بضعة عشر، ثمَّ جرح جراحاتٍ كثيرةً، فلم يتحمَّل ألم الجراح، فأخذ سهمًا وصار يطعن به نفسه، وبينما هو يلفظ أنفاسه الأخيرة قال له رجلٌ: هل قاتلت لنصر دين الله؟

فقال قزمان: لا، ولكنِّي قاتلت دفاعًا عن قومي حتَّى يقال عنِّي إنَّني شجاعٌ. ومات.

نُقل خبر قزمان إلى النبيّ ﷺ فقال: «**هو في النَّار**».

وقد قال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» وقزمان لم يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا؛ لذلك استحقَّ أن يكون في النَّار.

ثمَّ غطَّوا قزمان بقطيفةٍ من القماش، وكانت حوافر خيل المشركين وأقدامهم تدوس عليه وهم يولّون.

***

نزل الرُّماة وحلَّت الكارثة

لما انهزمت قريشٌ، وابتعد جيشها عن ميدان المعركة شاهدهم الرُّماة المسلمون وهم على جبل أحدٍ، فقال واحدٌ منهم: انظروا يا رجال، لقد انهزمت قريشٌ.

وقال ثانٍ: انظروا، لقد تركوا معسكرهم خاليًا ليس له من يحميه..

وقال ثالث: انظروا إخواننا يغنمون من المعسكر..

وقال رابعٌ: لو نزلنا وشاركناهم هذه الغنائم.

قال أميرهم: اتَّقوا الله يا رجال، لقد أوصانا رسول الله ﷺ أن نثبت على جبل أحدٍ..

وقال خامسٌ: لقد انتهت المعركة وانتصرنا فلماذا نبقى في أماكننا وغيرنا يغنم من معسكر المشركين؟

قال أميرهم: لقد وصّانا رسول الله ﷺ ألاَّ نترك أماكننا سواءٌ انتصر المسلمون أم لم ينتصروا؛ فاتَّقوا الله واثبتوا في أماكنكم، لا ينزل أحدٌ منكم..

وقال سادسٌ: وهو ينزل من على جبل أحدٍ: لماذا يأخذ غيرنا من الغنائم ونحن ننظر بأعيننا ولا نشاركهم فيها؟ وتبعه ثانٍ وثالثٌ ورابعٌ.....

وأميرهم يصرخ فيهم اتَّقوا الله أيُّها المسلمون، احفظوا وصيَّة نبيِّكم.

نزل أكثر الرُّماة ولم يبق على جبل أحدٍ سوى أميرهم وتسعةٍ من الرُّماة معه.

كانت خيل المشركين تنتظر هذه الفرصة بفارغ الصَّبر، ولما رأى الفرسان نزول الرُّماة طاروا بخيلهم إلى جبل أحدٍ، ولم تستطع القلَّة الباقية من الرُّماة الدِّفاع، فوصلت إليهم الخيل وقتلوا أمير الرُّماة ومن بقي معه.

ولما رأى ذلك أبو سفيان، رجع بجيشه وهجموا على المسلمين، وكان جبل أحدٍ يحمي ظهور المسلمين لما كان عليه الرُّماة، أمَّا الآن فقد قتل الرُّماة، وهجمت الخيل عليهم من خلفهم، فقتل منهم سبعون رجلًا، بينهم حمزة سيِّد الشُّهداء، قتله غدرًا غلامٌ حبشيٌّ اسمه وحشيٌّ، وأصيب النبيُّ ﷺ فجرح خدُّه، وكسرت سنُّه فحمله بعض الصَّحابة إلى شعبٍ في جبل أحدٍ.

ورجع المشركون إلى مكة بعد أن أدركوا ثأرهم من المسلمين، وتفقَّد المسلمون قتلاهم بعد انتهاء المعركة، ولما رأى النبيُّ ﷺ عمَّه حمزة شهيدًا حزن عليه حزنًا شديدًا، وحزن معه المسلمون.

***

ندم المسلمين

ولما رأى الصَّحابة نتيجة هذه المعركة الخاسرة عرفوا أنَّ سبب انتصار المشركين نزول الرُّماة من على جبل أحدٍ، مع أنَّ النبيَّ ﷺ أوصاهم في أوَّل المعركة ألّا ينزلوا؛ لذلك ندموا على هذه المعصية، ندموا، وبكوا، وعاهدوا الله على ألا يعصوه أبدًا، وأصبحوا حريصين على طاعة الله ورسوله ﷺ في كلِّ ميدانٍ، وقد تجلَّت هذه الطاعة رائعةً في غزوة الأحزاب أو الخندق.

***